نعمة الرِّضا

٢٠ شعبان١٤٣٧هـ / ٢٧مايو ٢٠١٦م

أولا: العناصر:

١. الرضا نعمة من أهم نعم الله تعالى على الإنسان.

٢. فضل الرضا وأثره على المسلم.

٣. أنواع الرضا.

٤. أمور تعين العبد على الرضا.

٥. الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع الرضا.

٦. نماذج للرضا في حياة الأنبياء والصالحين.

٧. ثمرات الرضا.

ثانيا: الأدلة:

من القرآن الكريم:

١. قال تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[النساء: ٦٥].

٢. وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ }[البقرة: ٢٠٧].

٣. وقال تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[المائدة:١١٩].

٤. وقال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١].

٥. وقال تعالى:{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١٠٠].

٦. وقال تعالى: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}[طه:٨٤].

٧. وقال تعالى: {فاصبر على مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَآءِ الليل فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النهار لَعَلَّكَ ترضى} [طه:١٣٠] .

من السنة النبوية :

١. عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً) (رواه مسلم).

٢. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ) (رواه مسلم).

٣. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: مَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ بَعْدَهُ أَبدًا) (رواه ابن حبان).

٤. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟) قَالَ: قُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ: (اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ) (رواه أحمد).

٥. وعَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ: (الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ ، فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) (مسند أحمد).

٦. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) (رواه ابن ماجه).

٧. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ) (رواه ابن ماجه).

ثالثا: الموضوع:

لقد اقتضت إرادة الله سبحانه وتعالى ألا تكون حياة الناس ودنياهم يسرًا خالصًا أو عسرًا محضًا ، بل خير وشر ، غنى وفقر ، صحة ومرض ، فما من أحد من الخلق إلا وهو مبتلى إما بمرض، أو فقر ، أو فقد ولد ، أو غير ذلك من مشاكل الدنيا ومصائبها .. لكن ذلك كله يهون على المسلم بما رزقه الله تعالى من صبر ورضا ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، فإذا ما رضي العبد بقضاء الله (عز وجل) ، وصبر على المحن والابتلاءات ارتقت درجته عند ربه ، فإنه

سبحانه وتعالى إذا أحبَّ عبدًا ابتلاه فإذا صبر اجتباه ، فعَنْ سَعْدٍ بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ: (الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ ، فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) (مسند أحمد).

لذلك كانت نعمة الرضا من أعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان ، فهي منة ربانية عظيمة ، ومنحة إلهية جليلة ، وعبادةٌ قلبيَّة رفيعة الشَّأن ، ودرجة إيمانيَّة عالية ، لا ينالها إلا من عَمُر قلبه بالإيمـان ، وعرف ربه حق المعرفـة ، والتزم بالأوامر واجتنب النـواهي ، وعزفت نفســه عن الدنيا بملذاتها حتى استوى عنده حجرها بمدرها.

فالرِّضا أساس من أسس الإسلام وكمال الإيمان ، فلا يكتمل إسلام العبد ولا يتذوق طعم الإيمان حتى يرضى بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيًّا ورسولاً ، فعن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً) (رواه مسلم). فنعمة الرضا تجعل صاحبها يتذوق حلاوة الإيمان ، بل قد أقسمَ الله (عز وجل) بأن الوصول لدرجة كمال الإيمان مرهون بالرضا والتسليم والإذعان المطلق لكتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وخاصة عند النوازل ، وهذه هي حقيقةُ الرِّضا عن الله (عز وجل). قال تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[النساء:٦٥].

كما أن نعمة الرضا تقرب العبد من ربه ، وتبعده عن سخطه سبحانه وتعالى ، قال لقمان الحكيم موصيًا ابنه: (أوصيك بخصال تقرّبك من الله وتباعدك من سخطه : أن تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت) (مدارج السالكين لابن القيم).

وذلك لأن الحق سبحانه وتعالى لا يختار لعبده إلا الأفضل والأصلح له ، فالأرزاق بيد الله ، ومقاديرَها عند الله ، وأن الفقر قد يكون أفضل للإنسان من الغنى. فمن العباد من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغناه الله تعالى لفسدت حياته ، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقره الله تعالى لفسد حاله ، ومنهم من لا يصلحه إلا الصحة ولو مرض لفسد حاله ، ومنهم من لا يصلحه إلا المرض ولو أعطاه الله الصحة والقوة لفسدت حياته ، ومن ثمَّ فيجب أن يقنع الإنسان ويرضى بما قدره الله تعالى له ، سواء أعطاه أم منعه ، فكل ما يصيبه خير له ، لأنه بقدر الله تعالى وحكمه ، فعن أبي يحيى صهيب بن سنانٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (عَجَبًا

لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (رواه مسلم) ، فالخير كل الخير في الرضا عن الله (عز وجل)، والشر كل الشر في السخط والجزع وعدم الرضا ، فإذا رضي العبد بما قدر الله له ارتفع إلى أعلى درجات الإيمان ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: (ذِرْوَةُ الْإِيمَانِ أَرْبَعٌ: الصَّبْرُ لِلْحكمِ ، وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ ، وَالْإِخْلَاصُ لِلتَّوَكُّلِ ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ) (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عاش ألوانًا من الفاقة والحاجة فواجهها بالرضا والقناعة ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا ، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، فَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ ، وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ) (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

كما أن الرضا بقضاء الله (عز وجل) دليل على محبة الله (تعالى) لعبده ورضاه عنه ، وهذه هي الغاية التي يرجوها ويتمناها ويسعى إليها كل مؤمن ، إذ لو نال محبة الله (عز وجل) ورضاه يسر الله أمره ، وفرج كربه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وقد رتّب الحق سبحانه رضاه عن الخلق برضاهم عنه ، فقال تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[المائدة:١١٩] ، وقال سبحانه:{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١٠٠] ، وغير ذلك من الآيات.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ (عز وجل) يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ في يَديْكَ ، فيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُم ؟ فيقولُون : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فيَقُولُ : ألاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ ؟ فيَقُولُونَ : وَأيُّ شَيءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذلِكَ ؟ فيَقولُ : أُحِلُّ عَلَيكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) (متفق عليه).

والرضا بالله من ثماره يستلزم لصاحبه الفوز بالجنة والنجاة من عذاب النار ، فعن أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِىَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ) ، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ ، فَقَالَ أَعِدْهَا عَلَىَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَفَعَلَ........) (رواه مسلم).

والرضا عن الله عز وجل نوعان:

الأول: الرضا بفعل المأمور به واجتناب ما ورد النهي عنه ، وهذا هو حال المؤمن التقي النقي، فلسان حاله هو قول الله تعالى: {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[البقرة: ٢٨٥] ، وقوله تعالى: {اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ}[التوبة:٦٢]، وهذا النوع من أنواع الرضا واجب على كل مسلم أن يبذل في تحصيله النفس والنفيس ، قال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: ٢٠٧] ، وقال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ}[التوبة: ٥٩].

والنوع الثاني: الرضا بالقضاء ، فالإنسان بين حالين ، حال السلب وحال العطاء ، فعند العطاء عليه الشكر ، وعند السلب والمنع عليه الرضا والصبر ، ويصل العبد إلى نعمة الرضا بقوَّةِ إيمانه وحُسن اتِّصالِهِ بالله عز وجل ، وبالصبر والذكر وحسن الطاعة والمحافظة على العبادة ، وهذا هو الطريق الذي رسمه الله تعالى لحصول الرضا ، قال تعالى: {فاصبر على مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وَقَبْلَ غرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ الليل فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النهار لَعَلَّكَ ترضى} [طه:١٣٠] وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: (عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ) (رواه ابن ماجه في سننه).

وهناك أمور تعين العبد على الوصول إلى مقام الرضا ، منها :

- **القناعة بما قسمه الله عز وجل** والتيقن أنه لا مفر أمامنا غير الرضا بما قدره الله تعالى، والعلم بأن جزعنا وسخطنا وعدم تسليمنا لن يغير من قضاء الله شيئًا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟) قَالَ: قُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا ثُمَّ قَالَ: (اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ........الحديث)(رواه أحمد).
- **مجاهدة النفس بتعويدها ومجاهدتها على الطاعة والعبادة** ، فإن مجاهدة النفس وتعويدها على الطاعة طريق لتحقيق الاستقامة ومن ثمَّ يتحقق الرضا ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:٦٩] .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على * * * حب الرضاع وإن تفطمْه ينفطمِ

فجاهد النفس والشيطان واعصهما * * * وإن هما محَّضاك النصح فاتهمِ

• **النظر إلى من هو أسفل منا في العطاء** ، خاصة المهمومين والمكروبين وأصحاب المصائب المختلفة وذلك أدعى للرضا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) (رواه ابن ماجه) ، فمن تفكر في أحوال من هم أسفل منه هان عليه كل ما يحول بينه وبين الرضا.

• **ومن أهم الأمور التي تعين على الرضا : الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل أن يرزقنا الرضا** ، فقد كان من دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَبِيدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ) (رواه ابن حبان).

إن الإنسان بدون الرضا يقع فريسة لليأس والإحباط، فتحيط به الهموم والغموم من كل مكان، ولنعلم جميعًا أن الرضا لا يعني الاستسلام أو اليأس وتبلد المشاعر ، وغير ذلك من مظاهر السلبية ، فهذا خداع للنفس ومفهوم خاطئ عن الرضا ، فالإسلام الحنيف يحض على العمل ويشجع عليه ، ويكره الكسل والكسالى والعالة على غيرهم، فالرضا دافع للعمل والإنتاج ، وهو من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين ، وهو مفتاح كل خير ، ويمنع صاحبه عن ارتكاب أي شر .

على أن الأخذ بالأسباب لا ينافي الرضا ، بل إنه من تمامه ، فالله عز وجل اقتضت حكمته وقدرته أنه جل جلاله أراد بنا أشياء ، وأراد منا أشياء ، فما أراده بنا أخفاه عنا ، وما أراده منا أظهره وأمرنا بالقيام به والمحافظة عليه ، فعلينا أن نرضى بما أراده لنا ونعمل فيما أراده منا .

وفي حياة الرسل والأنبياء (عليهم السلام) والصالحين صور مشرقة في تحقيقهم لكمال الرضا عن الله عز وجل ، فكان الرضا غاية سيدنا موسى الكليم (عليه السلام) ، قال تعالى حاكيًا عنه: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}[طه: ٨٤] أي: عجلت إليك شوقًا إلى رضاك ومحبتك، وقال لنبيه ومصطفاه (صلى الله عليه وسلم): {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [سورة الضحى:٥].

ولقد ضرب لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في الرضا عن الله عز وجل، وحياته (صلى الله عليه وسلم) تعبر عن كمال الرضا وتمامه وتحقيقه في أكمل صورة وأبهى مشهد ، فبالرغم من كونه حبيب الله وسيد ولد آدم ولا فخر إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يطلب الدنيا أو نعيمها ، ورضي بما قسمه الله له من معاش الدنيا ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ:

اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)عَلَى حَصِيرٍ ، فَأَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ، جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) (رواه أحمد).

ومن أجمل ما روي في الرضا عن الله (عز وجل) من قصص الصحابة والتابعين، ما جاء عن سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) حين قدم إلى مكة ، وقد كان كفَّ بصره ، جاءه الناس يهرعون إليه ، كل واحد يسأله أن يدعو له ، فيدعو لهذا ولهذا ، وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله ابن السائب : فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني ، وقال: أنت قارئ أهل مكة ؟ قلت: نعم.. فقلت له: يا عم، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك ، فردَّ الله عليك بصرك. فتبسم وقال: يا بُني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري .

وما جاء عن عروة بن الزبير (رضي الله عنه) فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى وَجَدَ فِي رِجْلِهِ شَيْئًا فَظَهَرَتْ بِهِ قَرْحَةٌ وَكَانُوا عَلَى رَوَاحِلَ فَأَرَادُوهُ عَلَى أَنْ يَرْكَبَ مَحْمَلًا فَأَبَى عَلَيْهِمْ ثُمَّ غَلَبُوهُ فَرَحَلُوا نَاقَةً لَهُ بِمَحْمَلٍ فَرَكِبَهَا وَلَمْ يَرْكَبْ مَحْمَلًا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَصْبَحَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} [فاطر: ٢] حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا فَقَالَ: لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْمَحَامِلِ بِنِعْمَةٍ لَا يُؤَدُّونَ شُكْرَهَا وَتَرَقَّى فِي رِجْلِهِ الْوَجَعُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا رَآهُ الْوَلِيدُ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اقْطَعْهَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَالِغَ فَوْقَ ذَلِكَ ، قَالَ: فَدُونَكَ قَالَ: فَدَعَا لَهُ الطَّبِيبَ فَقَالَ لَهُ: اشْرَبِ الْمُرْقِدَ (المخدر) قَالَ لَا أَشْرَبُ مُرْقِدًا أَبَدًا، قَالَ: فَعَذَرَهَا الطَّبِيبُ وَاحْتَاطَ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّحْمِ الْحَيِّ مَخَافَةَ أَنْ يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ ضُرٌّ فَيَرْقَى فَأَخَذَ مِنْشَارًا فَأَمَسَّهُ بِالنَّارِ وَاتَّكَأَ لَهُ عُرْوَةُ فَقَطَعَهَا مِنْ نِصْفِ السَّاقِ فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ يَقُولَ: حَسْ حَسْ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: مَا رَأَيْتُ شَيْخًا قَطُّ أَصْبَرَ مِنْ هَذَا ، وَأُصِيبَ عُرْوَةُ بِابْنٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ وَدَخَلَ اصْطَبْلَ دَوَابٍّ مِنَ اللَّيْلِ لِيَبُولَ فَرَكَضَتْهُ بَغْلَةٌ فَقَتَلَتْهُ وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ حَتَّى رَجَعَ ، فَلَمَّا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى قَالَ: {لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا}[الكهف:٦٢] اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتَ سِتَّةً، وَكَانَتْ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنِّي طَرَفًا وَأَبْقَيْتَ لِي ثَلَاثًا وَايْمُكَ لَئِنِ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ) (المرض والكفارات لابن أبي الدنيا).

وأما عن ثمرات الرضا فكثيرة ، منها : رضا الخالق سبحانه وتعالى ، فإذا رضي العبد عن ربه فيما أمره به وفيما قسمه وقدره له رضي عنه ربُّه عز وجل ، ومنها: محبة الله سبحانه وتعالى للراضين بقضائه ، كذلك من ثمرات الرضا الراحة النفسية والروحية للإنسان ، وتجنب الأزمات النفسية من

القلق والتوتر ، فالرضا يثمر طمأنينة في القلب ويُنزلُ عليه السكينة ، فيثقُ القلبُ بموعودِ اللهِ عز وجل، ولسانُ حالِه : {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً} [الأحزاب: ٢٢] ، وفوق كل ذلك الفوز بالجنة .

فليحافظ كل إنسان على الرضا ، فمن وطّن نفسه عليه أفلح في الدارين ، ومن وضعه نصب عينيه وصل إلى جنة عرضها السموات والأرض ، والسخط والجزع لن يغير الواقع والقدر ولكنه يزيد الذنب ويغضب الرب.